ثلاثية المعرفة

القراءة - الكتابة - الكتاب

الشيخ ليث العتابي

مركز عبد الرسول للدراسات والبحوث المعاصرة

ثلاثية المعرفة

القراءة ـ الكتابة ـ الكتاب

الشيخ ليث العتابي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
رابط بديل < nktba.net

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات أو أفكار يتبناها مركز عين للدراسات البحوث
المعاصرة وإن كانت تقع في دائرة اهتماماته وأولوياته

الطبعة الأولى
١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م

من أهداف مركز عين :

القراءة
وقفات مهمة في عالم القراءة

توطئة

في خضم التطور الذي يشهده العالم في عصرنا الحاضر، ذلك التطور الذي طال جميع نواحي الحياة، و لم يبقِ على شيء إلا طاله (زيادةً أو الغاءً) .

تطورٌ بات يشكل نقلة نوعية في كل مناحي حياة الفرد الإنساني مما سهل عليه الكثير، فجعل البعيد قريباً، و المستحيل ممكناً، ذلك التطور الذي من المفروض أن يزيد من اهتمامنا بالجانب المعرفي، كونه الاساس لما حصل من تطور . فعصر النهضة و بعده عصر التنوير كان قائماً على نظريات كُتبت على الورق أخذها طلاب العلم و المعرفة فترجموها إلى ما نراه الآن من تطور علمي و تكنلوجي فاق كل التصورات، حتى ان أحد رواد عصر التنوير و هو المفكر الفرنسي (فولتير) أجاب حين سُئل عمن سيقود الجنس البشري فأجاب : (الذين يعرفون كيف يقرؤون) .

فكيف إذا تزامن هذا (الحث المعرفي) مع نصوص دينية تؤكد على أهمية القراءة، و تدعو لها بفعل أمرٍ يقتضي الأمر في تجلٍ من تجلياته، ذلك النص الأول و الخالد الذي نزل على خير البرية، و خاتم الأنبياء و المرسلين نبينا محمد (ص) النص الإلهي القائل : ((اقْرَأْ)) .

فمن اللازم إذن أن يكون الداعي مضاعفاً و من جانبين ؛ الجانب الإنساني العام، و الجانب الديني الخاص .

لكن و مع الأسف نرى العكس من ذلك، فأمة إقرأ لا تقرأ مطلقاً، في وضعٍ من النكوص و التراجع و التقهقر المعرفي الذي يدعو إلى ملايين التأسفات .

في هذا البحث المتواضع سنتناول قضية القراءة كونها أداة مهمة من أدوات المعرفة، إذ لا يمكن لأحد أن يصل إلى المعرفة بلا أدوات مطلقاً، كما و سنتناول أسباب العزوف عن القراءة، و كذلك اساليب ترغيب الطفل بالقراءة، و سنتناول ايضاً منهجية القراءة بالنسبة للقارئ المبتدئ، و سنعرج على سلطة القارئ و سلطة النص لما لذلك من أهمية كبير في التأثير و التأثر، و سنتناول ايضاً انواع القراء، ثم لا بد لنا أن نتناول (الكتاب) كونه محل فعل القراءة، و نذكر انواع الكتب المقروءة، و الفارق ما بين المصادر و المراجع لما لذلك من أهمية عند طلبة العلم .

القراءة

القراءة من الأدوات المعرفية المهمة، و الأكثر شيوعاً، و الأسهل تناولاً، فهي أهم وسيلة لاكتساب المعرفة .

إن القراءة تعد الخطوة الأولى التي يتم من خلالها اكتشاف و فك رموز الكتابة، فالقراءة الصحيحة تستطيع أن تؤسس آليات رصينة لولوج باطن النص .

و يمكن تعريف القراءة بأنها : (عملية فكرية عقلية يتفاعل القارئ معها، و يفهم ما يقرأه، و يستخدمه في حَل ما يواجهه من مشكلات، و الانتفاع بها في المواقف الحيوية)[1] .

فالقراءة بأبعادها المتعددة (هي سلوك إنمائي، مقدرة اقتصادية، سلطة، استعداد نفسي . أما المطالعة، فهي ممارسة، أو امتناع عن ممارسة، فهي لها بعد اختياري، أكثر منه إلزامي)[2] .

إن القراءة كأداة معرفية تعتبر عملية متكاملة تمر بمجموعة مستويات تبدأ بالاكتشاف الأولي، و من ثم بمرحلة استنطاق

(١) أمة إقرأ لا تقرأ، حسن آل حمادة، ص ١٧ .

(٢) المكتبة المدرسية في التعليم و التعلم، محمد الرابحي و وحيد قدورة، ص ١٢٨

النص، و من ثم بمرحلة فهم النص و استيعابه .

نعم، تعتبر القراءة و من حيث الأهمية السبيل الأول لتحصيل العلم و المعرفة، فهي مفتاح المعرفة، و طريق الرقي، و سبيل التقدم، و هي النافذة التي يطلع القارئ من خلالها على ما عند الآخرين بكل سهولة و يسر، فما من أمة تقرأ إلا و كانت في موضع الريادة . كما و أن القراءة تعد من الضروريات في هذا العصر، إذ تحتل بالنسبة للإنسان أهمية كبيرة، فهي وسيلته للتعلم، و التعليم، و هي وسيلته لاكتساب المعرفة، و وسيلته للترفيه و الاستمتاع كذلك .

لقد بدأت فرنسا ثورتها التحررية من الكتاب، و الكتابة، و القراءة ذلك ضد الواقع المزري الذي كانت تعيشه يومها، فقد طُبعت العشرات من الكتب التي ساعدت في انتشار الوعي، و المعرفة فكان من جراء ذلك كله قيام (الثورة الفرنسية)[٣] .

(٣) فنذكر من الأمثلة الفرنسية : الكاتب بودان صاحب نظرية السيادة، و توماس هوبز صاحب نظرية سلطة الشعب، و جون لند صاحب نظرية الليبرالية الحديثة، و مونتسكيو صاحب نظرية الفصل بين السلطات الثلاثة، و جان جاك روسو صاحب نظرية العقد الاجتماعي .

يقول الكاتب و المفكر المصري (عباس محمود العقاد)[٤] عن أهمية القراءة : (لست أهوى القراءة لأكتب، و لا لأزداد عمراً في تقدير الحساب، إني أهوى القراءة لأن لي في هذه الدنيا حياة واحدة، و حياة واحدة لا تكفيني، و لا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة . القراءة هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة، لأنها تزيد هذه الحياة عمقاً، و إن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب ؛ فكرتك أنت فكرة واحدة، و شعورك أنت شعور واحد، و خيالك أنت خيال فرد واحد إذا قصرته عليك، و لكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى، و لاقيت بشعورك شعوراً آخر، و لاقيت بخيالك خيالاً آخر غيرك، فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين، و أن الشعور يصبح شعورين، و أن الخيال يصبح خيالين ... كلا و إنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات الفكر في القوة و العمق و الامتداد)[٥] .

و سُئل الكاتب و المفكر الفرنسي (فولتير)[٦] عمن سيقود

(٤) عباس محمد العقاد (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤ م) .

(٥) القراءة أولاً، محمد عدنان سالم، ص ٣٩ .

(٦) فولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨ م) هو : فرانسوا ماري أرويه، و فولتير اسم مستعار له، من كتاب عصر التنوير .

الجنس البشري فأجاب : (الذين يعرفون كيف يقرؤون)[٧] .

نعم، لا بد من تحفيز الأبناء على القراءة، و لا بد من خلق معلم قارئ، و لا بد من إصلاح المناهج التعليمية، و إيجاد مكتبات في كل المدارس، و إقامة معارض الكتب و بشكل دوري و مستمر، و لا بد للإعلام أن يهتم بالكتاب، و بالمكتبات، و القراءة بدل التركيز على الأخبار، و المسلسلات، و كرة القدم .

فعلى سبيل المثال، و في جانب بيان دور الإعلام ـ المفترض ـ في التوعية، و الحث على الثقافة و التثقيف، و على القراءة في الدول الغربية نجد أنه (في كل شهر تظهر " أوبرا " أمام الكاميرا و بيدها كتاب مخاطبة متابعيها هكذا : هذا اختياري كتاب هذا الشهر، أريدكم أن تذهبوا لمكتبات بيع الكتب، أريدكم أن تشتروا هذا الكتاب، أريدكم أن تقرأوه . ثم تطلب منهم أن يبعثوا رسائل إلكترونية، أو ورقية محتوية تفاعلهم مع النص، و من بعد يتم اختيار أربعة أشخاص من مجموع كُتاب الرسائل تلك يطيرون ـ على حساب برنامج أوبرا ـ من أجل اللقاء بمؤلف ذلك النص، و يتناولون العشاء على مائدة أوبرا، و يتم النقاش حول النص و تجربة

(٧) م . ن، ص ٣٨.

مؤلفه، و تجربة القُراء الأربعة، و مداخلات " أوبرا " أمام عين الكاميرا الراصدة، لتعرض مقاطع من ذلك النقاش، و فكرة عن الكاتب خلال حلقة البرنامج المعينة)[٨].

إن الدول المتقدمة بحق ستستنفر طاقاتها لو شعرت بأن نسبة القراءة قد قلت في بلدانها، فهذه بريطانيا عندما شعرت أن مستوى القراءة قد هبط بذلت لذلك (١٧٠) مليون جنيه لرفع نسبة القراءة و الكتابة[٩].

و فرنسا أيضاً عندما شعرت بذلك قام وزير ثقافتها بعملية استنفار عامة، و نزل هو و من معه من كبار المؤلفين و المختصين إلى الشوارع، و الحدائق العامة، و المراكز الثقافية في مهرجان سموه بـ(مهرجان جنون المطالعة)[١٠].

و في المقابل نرى في تقرير إحدى الجامعات في عالمنا العربي و التي ذكرت في دراسة أجرتها أن (٧٢ ٪) من خريجي الجامعات يتخرجون دون أن يقوموا باستعارة كتاب واحد من مكتبة

(٨) مجلة الكلمة، العدد ٢١، ص ٩٤.

(٩) مجلة المعرفة، يناير ٢٠٠٠ م.

(١٠) خطى نحو مجتمع قارئ، حسن جمال البلوشي، ص ٥٣.

الجامعة[١١] .

لقد أجريت دراسة بهدف التعرف على معدل قراءات الشعوب في العالم، حيث كانت النتيجة : أن معدل قراءة الرجل العادي ـ الذي يعمل في المحلات و الأعمال الحرفية ـ في اليابان أربعون كتاباً في السنة، و معدل قراءة الفرد في المجتمع الأوربي عشرة كتب في السنة، في الوقت الذي كان معدل قراءة الفرد في الوطن العربي عُشر كتاب، بمعنى أنه يقرأ في العام عشرين صفحة من كتاب تبلغ عدد صفحاته مائتي صفحة[١٢] .

و احصائية أخرى أشارت إلى أن معدل قراءة الفرد العربي على مستوى العالم هو ربع صفحة !؟ أي أن متوسط القراءة لدى الفرد العربي في السنة ـ مقارنة بالقارئ العالمي ـ لا تتجاوز نصف ساعة .

لا بل المصيبة أنك (ترى كثيراً ممن يدخلون في زمرة " المثقفين ! " من أصحاب الشهادات الجامعية، بل حتى أصحاب الشهادات العليا، و مع ذلك تفاجأ بأن كثيراً منهم ربما يعجز عن

(١١) أمة إقرأ لابد أن تقرأ، أمير محمد المدري، ص ١٣ .

(١٢) أمة إقرأ ماذا تقرأ، عيسى القدومي، مجلة الفرقان، العدد ٣٦٧ .

إتمام قراءة كتاب واحد خارج تخصصه)[١٣] .

على الإنسان الساعي للمعرفة و للثقافة أن لا يتحجج بأي حجة تمنعه من القراءة، فمثلاً نجد أن عذر النسيان هو الأكثر شيوعاً، و عن ذلك نقول : ليس عيباً ان تنسى لأن الذي يقرأ لا بد أن ينسى ٥٠٪ مما قرأ خلال نصف ساعة و ٨٠٪ خلال ٢٤ ساعة اذا لم يضع هدفاً لقراءته، أو لم يستخدم ما قرأه . لذلك فإن الخبراء يقولون : كي لا تنسى ما قرأته ردده ذهنياً أو شفهياً كأن تحدث به نفسك أو شخصاً ما .

القراءة عالم واسع، لا تحده حدود، و لا تقف في وجهه أي عوائق، إن هدف القراءة الحقيقي هو (إثارة الرغبة في القراءة، و تعويد الناس على المطالعة، و بذل كل الجهود، من أجل تكوين مجتمع قارئ، متعطش إلى المعرفة، يهلل لمن يراه مقبلاً عليها من أفراده، و يقيم لهم المسابقات، و يجزل للفائزين منهم الجوائز، و يفتح لهم آفاق المستقبل، و يتقزز، بل ينظر شزراً إلى العازفين عن القراءة، المنصرفين عنها إلى سفاسف الأمور، حتى تصبح القراءة سمة من سمات المجتمع، تطبعه في منتدياته، و في الأحاديث

(١٣) أفات القراء، أحمد الصويان، مجلة البيان، العدد ٤٨، ص ٧٤ .

المتبادلة بين أفراده، و تخلق فيه المناخ الثقافي الملائم لنمو المعرفة، لولوج عصر العلم و المعلومات)[١٤] .

نعم، ان هناك بوناً شاسعاً بين (المثقف) و (المتعلم)، فالمثقف : هو الذي يجعل القراءة و البحث زاده اليومي، بل يجعل ذلك زاد حله و ترحاله، و أنيس حركاته و سكناته . أما المتعلم : فهو الذي لا تهمه الثقافة، إذ يكتفي بحصوله على شهادة دراسية في مستوى من المستويات يتوقف عنده، معتقداً أن ما حصل عليه يكفيه في رحلة حياته، غير آبه بتطوير معلوماته، أو مواكبة الجديد في مجال تخصصه، خصوصاً ان العلوم و المعارف باتت تتضاعف يومياً بعد ان كانت في الماضي تحتاج إلى عشرات السنين، بل ربما مئات السنين كي تتضاعف، ففرق ما بين من هو مواكب للتطور، و من هو متخلف عن اقرانه . و سعيدٌ من جمع الثقافة و التعلم سويا فصار (متعلماً مثقفاً) .

إن مجتمعاتنا العربية، مازالت ـ للأسف ـ بعيدة عن مجتمع التطور و التقدم المعلوماتي، كما و ان مؤسساتنا التعليمية و بأجمعها مازالت متخلفة عن مواكبة العصر، علماً بأنها ـ و على الفرض ـ

(١٤) هموم ناشر عربي، محمد عدنان سالم، ص ١٥٥ .

الجهات الأكبر و الأكثر تأثيراً في تكوين العادات القرائية الإيجابية عند جميع أفرادها، و غرس الاقبال على البحث في نفوسهم، و ترسيخ قدرات التعامل مع وسائل التقدم و التطور لولوج عالم التقنيات فائقة الصغر، و الذكاء الاصطناعي، و الطرق السريعة للمعلومات، و المكتبات الافتراضية .

فالقراءة (ليست مجرد البحث عن المعاني في النصوص، بل هي ايضاً البحث عن أنحاء التأثير الذي تتركه النصوص فينا، إذ يمكنها أن تغضبنا أو تخيفنا أو تغرينا، فتأثير الكتابة فينا يتجاوز مجرد فهمنا لها ... قدرة النصوص على جعلنا نقوم بأشياء، هي القدرة نفسها التي تجعلنا نفهم المعنى الكامن فيها ... إذ ان الكيفية التي نقرأ بها النصوص و نفهمها هي متغيرة باستمرار كما يتغير فهمنا لأنفسنا)[١٥] .

ما هي أسباب العزوف عن القراءة

لقد أورد جملة من الخبراء اسباباً للعزوف عن القراءة سنحاول التطرق إلى جملة من اهمها و التي منها :

١ـ الأسباب التربوية : حيث تغيب ثقافة الكتاب عن بعض

(١٥) مقدمة في الهرمينوطيقا، ديفيد جاسبر، ص ٢٢ .

البيوت و عن المؤسسات التربوية .

إن القراءة تفيد الطفل، فهي توسع مداركه، و خبراته، و تفتح أمامه أبواب الثقافة و المعرفة، كما و انها تحقق له التسلية و المتعة كذلك .

إن غرس حب القراءة كما ينطلق من المؤسسة التربوية، فهو ينطلق كذلك و بشكل أهم من البيت، فعلى الأسرة أن تغرس حب القراءة في نفوس اطفالها، ذلك ان تُعلِم الطفل حب القراءة وسط الأسرة فهي بذلك تكون قد منحته أعظم هدية ستثري حياته أكثر من أي شيء آخر يقارن بها .

إننا و مع شديد الأسف نشاهد الكثير من البيوت لا يوجد فيها حتى كتاب واحد، بل ان العجب كل العجب من المؤسسات التعليمية و التربوية التي لا يوجد فيها مكتبات، فكيف نحث الطالب فضلاً عن المعلم على العلم و المعرفة و مدرسته خالية من (مكتبة)، فضلاً عن عدم وجود (مسجد) في مدارس دولنا (العربية الإسلامية)!؟

٢ـ الأسباب الشخصية : كانتشار الأمية، أو كالجهل و الكسل و الغرور و النظرة القاصرة، مضافاً إلى ضعف المستوى التعليمي .

صدقاً، ان المجتمعات العربية معروفة بالكسل، و معروفة

بالسعي نحو المعلومات الجاهزة و غير المجهدة . بل، ان المصيبة تصل في سلك الدراسات العليا ـ على سبيل المثال ـ إلى مرحلة تكليف من يكتب لهم الرسائل و الاطاريح من خارج المؤسسة التعليمية مقابل مبالغ مالية !!!

٣ـ الأسباب الاقتصادية : بسبب سوء الوضع الاقتصادي، و عدم دعم الانتاج الثقافي المحلي، أو استغراق بعض الأعمال جل يوم الفرد .

نعم، هو سبب مهم يؤثر على الفرد إلى حدٍ كبير، لكن من المفروض ان لا يُجعل هذا السبب مانعاً عن جدولة ولو (١٠ دقائق) في اليوم للقراءة .

٤ـ الأسباب السياسية : أو السياسية المذهبية المتسمة بسمة طائفية، كمنع القراءة في موضوعات معينة، أو تحريم القراءة لطائفة أو دين معين، و هكذا .

٥ـ الأسباب النفعية : فالنفع هو جل ما يشغل اذهان البعض، حيث يقول قائلهم : و أي شيء ناله القارئ من قراءته، هل صار غنياً أو مشهوراً !؟

إن المتقولين لا يعلمون بأن الغنى و الشهرة لهما أسس معرفية جاءت بهما في بادئ الأمر .

ان الغني يستخدم الأذكياء (من القراء) ليستمر غناه، و المشهور كذلك يعتمد على الأذكياء في سعيه نحو تواصل شهرته و استمرارها .

٦ـ الأسباب الترفيهية : فالبعض يبحث عن الرفاهية و يعتبرها هي الأصل، و لا مكان للجدية في حياته إلا في زاوية بعيدة تضيق و لا تتسع . فكان لإنتشار وسائل الإعلام و الانترنيت الدور الفاعل في دعم هذا الجانب .

لقد اصبح الانترنيت و الاجهزة اللوحية المتنوعة و التي صنعت لدعم التكنولوجيا، و لزيادة الكسب المعرفي ذلك من خلال سرعة نقلها للمعلومات، اصبحت عند (الجمهور العربي) آلات للعب، و آلات للدردشة الفارغة، و آلات لملء اليوم بقضايا لا نفع منها مطلقاً، ان لم تكن محرمة أو باباً إلى المحرمات .

وقفة مهمة مع خرافات شائعة في عالم القراءة

إن اجمل ما قرأته هو كتاب (٢٧ خرافة شعبية عن القراءة) من تأليف : (ساجدة العبدلي، و عبد المجيد حسين تمراز) و الذي يسرد أشهر الخرافات عن القراءة، و التي تبعد الناس عن القراءة، لتكون القراءة أشبه بالغول الذي من الواجب الهروب منه .

و هذه الخرافات هي : (١ـ ان قراءة الروايات غير مفيد للعقل و

هو مضيعة للوقت ـ ٢ ـ يجب على القارئ أن يقرأ كل كلمة في الكتاب من الجلد إلى الجلد ـ ٣ ـ القراءة مسبب رئيسي للجنون ـ ٤ ـ القراءة ليس لها مردود مفيد أو ظاهر على الجسد ـ ٥ ـ القراءة مجرد هواية ـ ٦ ـ التجربة و الممارسة العملية أهم من القراءة ـ ٧ ـ القارئ شخص انطوائي ـ ٨ ـ القراءة تحتاج إلى الوقت و لا يوجد وقت للقراءة ـ ٩ ـ هناك كتاب واحد صالح لجميع القراء ـ ١٠ ـ التكنولوجيا ستقضي على الكتاب ـ ١١ ـ القراءة مملة ـ ١٢ ـ القراءة صديقة البطالة ـ ١٣ ـ الكاتب أذكى و أفضل من القارئ ـ ١٤ ـ القراءة تضعف النظر ـ ١٥ ـ قراءة الصحف تغنيك عن قراءة الكتب ـ ١٦ ـ الأفلام تغني عن القراءة ـ ١٧ ـ فات القطار لان القراءة تزرع في الصغر فقط ـ ١٨ ـ استحضار المعلومة هي الفائدة الوحيدة من القراءة ـ ١٩ ـ كتب الدراسة تغني عن القراءة الحرة ـ ٢٠ ـ الكتب الأكثر مبيعاً هي الأفضل دائماً ـ ٢١ ـ الفرد العربي يقرأ ست دقائق في السنة ـ ٢٢ ـ القراءة السريعة صالحة في كل وقت و لكل كتاب ـ ٢٣ ـ الكتب تقود إلى الانحراف الفكري ـ ٢٤ ـ القراءة موضة قديمة ـ ٢٥ ـ يكفي قراءة الكتب الدينية فقط ـ ٢٦ ـ الكتاب غالي الثمن جداً ـ ٢٧ ـ هناك من يُدعى بالقارئ المثالي) .

و عندما قرأت هذا الكتاب، و قرأت هذه الخرافات تذكرت

قصة مرت علي في حياتي عندما كنت صغيراً، اذ كان هناك شخص في منطقتنا أصيب بحالة من الجنون على حين غرة، فقد كان ـ ظاهراً ـ سليماً و معافى رغم كونه قليل الكلام و شبه انطوائي، إلا انه فجأة أصيب بحالة من الجنون الظاهري من خلال تصرفات يقوم بها تخالف المألوف العرفي . حينها سألت أحد الأشخاص الكبار في السن في المنطقة عما أصابه و سبب ذلك فأجابني : انه قرأ الفلسفة فأصيب بالجنون . فسكت هنيئة ثم اردفته قائلاً و هل كل من يقرأ الفلسفة يصير مجنوناً . قال : نعم، الفلسفة خطيرة !؟

نعم انه من الشائعات أو (الشياعات) الباطلة بأن الفلسفة تسبب الانحراف الديني، أو انها تسبب الجنون، في سعي محموم لإلقاء اللوم على أشياء تبعد القصور الذاتي عن شخوص أو مؤسسات معينة .

ما هي أساليب ترغيب الطفل بالقراءة

إن هناك جملة من الأسباب التي تساعد في ترغيب الطفل على القراءة و التي أوردتها الكتب المختصة و جمعتها لمن يريد الاستفادة منها، و نحن بدورنا جمعناها هنا للاستفادة منها كذلك و التي منها :

١ــ وجود القدوة القارئة :كالجد أو الأب أو الأم أو الأخ

الأكبر على سبيل المثال .

٢ـ توفير الكتب و المجلات الخاصة للطفل : على ان تحمل هذه المقروئات شروطاً مهمة هي :

أ ـ ان تحمل المضمون التربوي المناسب للبيئة التي يعيش فيها الطفل .

ب ـ أن تناسب العمر الزمني و العقلي للطفل .

ج ـ أن تلبي احتياجات الطفل القرائية .

د ـ أن تتناسب و بقدرٍ ما مع ميوله، أو فلنقل (هواياته) .

٣ـ تشجيع الطفل على تكوين مكتبة صغيرة له : في غرفته أو بجانب سريره على سبيل المثال .

٤ـ التدرج مع الطفل في قراءته : ذلك مراعاةً لطبيعة النمو التدرجي للطفل جسدياً و عقلياً .

٥ـ مراعاة رغبات الطفل القرائية : و هذا شيء مهم، و نصف الطريق نحو تحبيب القراءة إليه .

٦ـ وجود المكان الجيد للقراءة في البيت : كغرفة الجلوس، أو مكتبة المنزل، أو الحديقة على سبيل المثال، و كلٌ بحسبه .

٧ـ لا بد من تخصيص وقت لكي تقرأ لطفلك : فالانطلاقة تبدأ من الأبوين، فحين تقرأ له سيتعود على القراءة و سيحبها ؛ حباً، و

تأثراً، و تعوداً .

٨ـ استغلال هوايات الطفل من أجل دعم حب القراءة : أي أن يقرأ عن هواياته ليتعرف عليها أكثر لو كانت هوايته هي ليست القراءة .

٩ـ ابعد التلفزيون قدر الإمكان عن طفلك : ذلك ان التلفزيون و الكتاب ـ عموماً ـ ضرتان لا تجتمعان . بل ابعده عن الألعاب الالكترونية كذلك حفاظاً على ذاكرة و تركيز طفلك .

١٠ـ العب مع طفلك بعض الألعاب القرائية : أي الألعاب القرائية كالأحاجي و غيرها فهي مفيدة في تحبيب الطفل بالقراءة .

منهجية القراءة .. أين و كيف ؟

يقع الإنسان الساعي إلى القراءة في حيرة، من أين يبدأ ؟! و كيف يبدأ؟!

و هنا فإن من الواجب على القارئ ـ بمساعدة أو من دونها ـ أن يرسم لنفسه منهجية واضحة للقراءة يدرك من خلالها إلى أين يسير و ما هي أهدافه ؟

إن ترتيب الأولويات من أهم المسائل التي تعين المرء على النجاح بشكل عام، و يتأكد ذلك في أولويات القراءة، و قديماً قيل : (من شغل نفسه بغير المهم أضر بالمهم) .

كما لا يمكن للقارئ أن يبدأ بقراءة الكتب الفكرية (المتقدمة)، دون أن تكون له حصيلة يميز بها الغث من السمين، و دون ان يبدأ بالكتب الفكرية (الميسرة) التي تكمل بناءه العلمي و الثقافي و المعرفي .

أن من الواجب على القارئ أن يحرص في (بداية الطلب) على بناء قاعدة علمية لنفسه ينمي بها مداركه العقلية و ملكاته العلمية بشكل جيد و راسخ و وفق أساس متين، ذلك ان بناء القاعدة العلمية المتينة يتطلب من القارئ جهداً كبيراً، فهو يأخذ من كل فرع شيئاً رصيناً يقرأه قراءة واعية و تفصيلية، و لا ينتقل إلى كتاب

آخر إلا بعد أن يتقن الأول قدر الإمكان، ثم تأتي قراءته لكتاب آخر في الفرع نفسه كالبناء على تلك القاعدة و على ذلك الأساس الذي بناه .

ان القدرة على اختيار الكتاب المناسب للقراءة لها دور مهم باختصار المسافات في طريق القارئ الطويل . و كم من قارئ قد ضل الطريق، و كم من قارئ قد اضاع البوصلة، و كم من قارئ قد رجع نكوصاً . فلا صعود إلى السطح بلا سلم، و لا حفر بلا معول، و لا سير من غير وجود جادة .

نعم، في عالم القراءة لا بد من استشارة أهل الاختصاص و أصحاب الخبرة لمعاونة و مساعدة القارئ المبتدئ في ترشيح الكتب المناسبة له .

ثم لا يجوز القفز هنا و هناك في اختيار الكتب، فلا بد من السير شيئاً فشيئاً في تدرج معرفي يكتنفه الوعي .

ثم ان قراءة الشخص في حقلٍ ما تثقيفاً لنفسه لا يجوز له مجادلة اصحاب الاختصاص ؛ لأنه قرأ ما درسوه . بل، ان ذلك ليس من اخلاقيات القراءة فضلاً عن انه ليس من اخلاقيات العلم و لا من اخلاقيات طالب العلم .

القراءة بين سلطة القارئ و سلطة النص

إن القراءة كفعل ذهني هي حالة استكشاف، فهي تعمل على تدوين الانطباعات الذهنية عن النص، و القراءة ـ كعملية لها أسسها الخاصة ـ تتنازعها سلطتين رئيسيتين هما :

١ـ سلطة القارئ : فتعتبر سلطة القارئ الجزء الأكثر تأثيراً في (مفهوم القراءة)، و تحديد كونها عملية إبداعية ذات بعد معرفي، و مع تطور أساليب الكتابة و دخول عنصر (التكنولوجيا) حقل الإنتاج الإنساني فقد تطورت أساليب، و طرق القراءة .

إن سلطة القارئ محكومة بـ(الإرث المعرفي)، و (الوعي المكتسب)، و (السعة العقلية)، و (طبيعة الوعي) .

فهذه الاحداثيات التي يمكن تسميتها بالأدوات لها وظيفة محورية مهمة بالتشارك مع أدوات أخرى في فهم العلاقة ما بين (النص) و (القارئ) .

٢ـ سلطة النص : و هي تمثل العملية التكميلية لآلية القراءة، و هي التي تسهم في تشكيل الرؤية الفنية و الجمالية لعملية الكتابة . و تتشكل سلطة النص من : (مرجع)، و (بنية)، و (رؤية فلسفية) .

فالذي لابد لنا أن نعلمه أن القراءة تنتج نصوصاً ذات مرجعيات غنية تتداخل فيها سلطة (القارئ) و (النص) لخلق، و تشكيل مادة

الوعي الإنساني، القائم على المعرفة المكتسبة .

و تأتي أهمية القراءة ـ بالإضافة إلى أمور أخرى مهمة ـ لان عصرنا الحاضر هو عصر (الانفجار المعرفي الهائل) لما يشهده من تنافس في جميع مجالات المعرفة من قبل الدول المتقدمة، و أعداد من الدول اللاحقة بركبها، و عدد لا بأس به من الدول النامية، مع تطور هائل في وسائل حفظ و توصيل المعلومات و نقلها و بثها مما حدى بالكثير إلى العزوف عن القراءة و عن اقتناء الكتب و ذلك لإقبالهم على قضاء أوقات طويلة أمام الوسائل الإعلامية الإلكترونية المختلفة و التي تمدهم بـ(المعلومات السندويجية) الجاهزة، بلا أي معاناة في البحث .

إن (التدفق الهائل للمعلومات، و تراكم منتجات البحث العلمي في اتساع مستمر، و النتيجة المباشرة لذلك هي تقادم ما بحوزتنا من معارف و معلومات، و تفيد بعض التقديرات أن نحو ٩٠٪ من جميع المعارف العلمية قد تم استحداثه في العقود الثلاثة الأخيرة . و سوف تتضاعف المعارف خلال نحو ١٢ سنة . و يقول أحد الباحثين : إن على المتخصص المعاصر أن يضع في حسبانه أن نحواً من ١٠ ـ ٢٠٪ من معلوماته قد شاخ، و عليه أن يجدده . و يرى أحد الباحثين أن أعراض الشيخوخة تعتري المعلومات بنسبة ١٠٪

في اليوم بالنسبة إلى الجرائد، و ١٠٪ في الشهر بالنسبة إلى المجلات، و ١٠٪ في السنة بالنسبة إلى الكتب ... و العلاج لذلك كله دوام الاطلاع و المتابعة، حتى لا يتدهور ما لدينا من معرفة، و حتى لا نغرق في الضلالات و الأوهام التي تنتشر باعتبارها مفرزات جانبية للتقدم العلمي)[١٦].

(١٦) القراءة المثمرة، عبد الكريم بكار، ص ١٠ ـ ١١.

أنواع القراءة

إن للقراءة أنواعها الخاصة بها، و طريقتها الخاصة، فعلى طالب المعرفة أن يدرك ذلك لكي يتوخى الحيطة و الحذر في كيفية اقتناء المعلومات، إذ ليس كل ما موجود هو مفيد، و ليس كل ما أحيط بهالة المعرفة هو من المعرفة .

و عن طرق و أنواع القراءة فنقول : أن هناك أنواعاً مهمة للقراءة ذكرها المختصون أهمها :

١ـ القراءة الأكتشافية أو (الاستكشافية) :

و تستخدم للتعرف على الكتاب المفيد، و المعلومات المفيدة، و أكثر ما يتم التعرف على هذه الطريقة عن طريق قراءة المقدمة، أو قراءة الفهرس الخاص بالكتاب، أو مصادر و مراجع الكتاب المعتمدة . فعلينا أن نعلم بأن كثيراً من الكتب هي تجارية، و منها ما هي ذات دوافع تحريضية، و منها المنافي و المخالف لثوابت الدين و الأخلاق و الإنسانية، و منها الكتب المختصة التي كُتبت لذوي الاختصاصات فقط، و منها كتب للتسلية و للترفيه فقط .

٢ـ القراءة السريعة :

إن لكل كتاب طريقته الخاصة بالقراءة، فبعد تصفح الكتاب، و

التعرف على مستواه، و خانته الخاصة به، يقرر القارئ أي نوع من القراءة يستحق، إذ أن هناك كتب تقرأ قراءة سريعة لالتقاط النافع منها فقط .

٣ـ القراءة الانتقائية :

أي عندما يبحث القارئ عن موضوع معين قد يكون متناثراً في طيات الكتب، لذا تجده يقرأ العديد من المراجع و الكتب المتنوعة للعثور على مادة متجانسة تساعده في تكوين صورة عن الموضوع الذي يبحث عنه .

٤ـ القراءة التحليلية :

تعد القراءة التحليلية من أفضل الأساليب في استكناه مضمون كتابٍ ما في وقت غير محدد، فهي لا تعني الاطلاع و الاستفادة فحسب، بل تعني نوعاً من الارتقاء بالقارئ إلى أفق الكاتب، و محاولة النفاذ إلى معرفة شيء من مصادره و خلفيته الثقافية، و محاورته، و نقده، و الوقوف على جوانب القصور في الكتاب .

٥ـ القراءة المحورية :

هي القراءة التي تستهدف الوقوف على معلومات و أفكار، و مفاهيم تتعلق بموضوع معين كما يفعل باحث أراد أن يكتب في موضوع ما، فإنه سيحاول الاطلاع على مصادر المعلومات المختلفة

التـي تقـدم لـه، فتجـده لا يقـرأ سـوى فصـل أو أقـل مـن الكتـاب ويتجاوز عن الباقي، لتحقق حاجته بما قرأه .

الكتابة
مغامرة القلم في اقتحام السطور

توطئة

إن عالم الكتابة عالمٌ آخر بحق، هو عالم ترجمة الأفكار، إذ لولا الكتابة لظلت الأفكار هائمة لا تعرف مقراً و لا مستقراً .

الكتابة نعمة إلهية مَنَ بها الله تعالى على بني الإنسان، و لولاها لما حصل تواصل بين الأباعد و لا بين الأجيال المتعاقبة و لتقطعت السبل، و لأعاد الإنسان دورات الحياة في كل مرة ليقع في أخطاء متكررة قد وقع فيها قبله العشرات .فالكتابة تجربة مكتسبة تضيف للإنسان تجارب أخرى لم يعشها .

فتتجلى أهمية الكتابة (دينياً) في الكتب السماوية التي جاء بها الأنبياء (عليهم السلام) لهداية البشرية في حثٍ لهم على التعليم و القراءة و الكتابة و التدوين، استنقاذاً لهم من ظلمات الجهل و العبودية، و ارتقاءً بهم إلى نور العلم و الحرية .

لقد تكلم الجنس البشري خلال تاريخه الطويل عشرات الآلاف من اللغات التي اندثر معظمها دون أن تترك أثرا ذلك لعدم معرفتهم الكتابة.

إن للكتابة الأثر الكبير في قيام الدول العصرية و تطور العلوم، و كذلك تطور الإنسان ورقيه، فالكتابة هي التي مهدت لظهور العلوم العصرية، والتكنولوجيا، والصناعات المختلفة، بل كان لها

الأثر الكبير في ظهور مختلف الإنجازات الحضارية التي ساهمت في تطور الجنس البشري.

إن من لا يعرف الكتابة، لن يستطيع أن يستفيد شيئاً، بل إنه لن يستطيع أن يحفظ إرثه، ولن يواكب الحضارة مطلقاً.

إن الإنسان وبسبب حاجته إلى التعبير عما في نفسه - وبالخصوص حول أشياء داخلية لا يريد أن يعبر عنها لغيره، ولشعوره بالحاجة إلى إخراج الانفعالات الدفينة في نفسه، وللتعبير عن منجزاته والتفاخر بها - تولدت لديه الحاجة إلى الكتابة كونها المعبر عن كل ما في داخل نفسه من اختلاجات ومشاعر.

إن الكتابة أصبحت المعبر عن كل شيء. فبفضلها قد دون الإنسان أفكاره وتاريخه وحرص عليه، ودافع عنه.

في بحثنا المتواضع هذا سنحاول تناول قضية الكتابة و بما يضمن اعطاء صورة عامة عنها، و بما يحقق الفائدة فيها، إذ ان هذا البحث مجرد مدخل عام إلى قضية الكتابة، و إلا فهناك كتب متخصصة في مجال الكتابة فيها دراسات واسعة عن الموضوع.

الكتابة

تعتبر الكتابة من الأدوات المعرفية المهمة والرئيسية في مجال العلم و المعرفة.

فالكتابة : نظام يتمثل في مجموعة من الرموز المرئية، أو المحسوسة، والتي تستخدم لتمثيل وحدات لغوية بشكل منظم بغرض حفظ أو إيصال معلومات يمكن استرجاعها بواسطة أي شخص يعرف اللغة والقواعد المنظمة لعملية الترميز المستخدمة في هذا النظام[١٧].

و هي في الاصطلاح : القيام بعملية ترجمة الأفكار بشكل حروف، ورموز، وإشارات .

ففي الاصطلاح نرى عملية الكتابة تمتد لتشمل أكثر من مجرد عملية (استخدام القلم)، بل لتشمل كل العمليات المتعلقة بموضوع الكتابة.

إنّ مضمار البحث عن الكتابة هو(الأنثروبولوجيا الثقافية)[١٨] .

(17) Coulmas ،Florion. 1989. The Writing System of the World. Oxford: Blackwell.

(١٨) يعتبر موضوع الأنثروبولوجيا بشكل عام، والأنثروبولوجيا الثقافية بشكل خاص من المواضيع المهمة التي من الواجب دراستها بشكل دقيق، فبصراحة أن الغرب تقدم، وتطور، وأحتل العالم بالأنثروبولوجيا.

وان أكثر المصادر تشير إلى أن الكتابة بدأت في العراق وذلك اعتماداً على تاريخ بداياتها. وقد سميت بالكتابة المسمارية أو الإسفينية، إذ جاء أبسط أنواعها ومنذ بداية اختراعها في عصر (أوروك) وفي حدود (٣٨٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق. م)[١٩].

إن السومريين هم أول من أوجدوا هذا النوع من الكتابة في منطقة ما بين النهرين جنوب العراق. وتعود أولى الكتابات إلى تلك الفترة. إلا أن البعض يعتقد أن بداياتها كانت في مصر لدى الفراعنة وانتقلت هذه الفكرة إلى الفينيقيين ومنهم إلى اليونان والرومان، وذلك قبل ستة آلاف سنة في أمريكا الوسطى، وقبل أربعة آلاف سنة في الصين[٢٠].

إن نشأة الخط ومعرفة الحروف أمر يلفه الكثير من الغموض. إذ لا يمكننا تحديد تاريخية (الكتابة)[٢١]. فهناك من فسر ظهورها بأنها (أمر توقيفي)[٢٢] أي إن الله تعالى هو الذي علمها للإنسان، ويستشهدون على ذلك بقصة آدم (عليه السلام). ثم تكاثرت اللهجات

(١٩) الأبجدية نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، أحمد هبوط، ص ٢٨.

(٢٠) كيف نعلم الخط العربي، معروف زريق، ص ٢١.

(٢١) بما هي كتابة مطلقاً.

(٢٢) ومن هؤلاء القلقشندي في صبح الأعشى، ج ٢، ص ٦ ـ ٧.

والكتابات. وقيل إنها (أمر كسبي) اكتسبه الإنسان لمورد الحاجة، فهي من اختراعاته، وخاصة به، فهو الذي وضعها. وقيل إنها من جهة توقيفية ومن جهة اكتسابية، ومنهم من زاد، ومنهم من فصل[٢٣].

وفي إطار تاريخي بحت نقول: إن الإنسان وبسبب حاجته إلى التعبير عما في نفسه، وبالخصوص حول أشياء داخلية لا يريد أن يعبر عنها لغيره، ولشعوره بالحاجة إلى إخراج الانفعالات الدفينة في نفسه، وللتعبير عن منجزاته والتفاخر بها، ـ وما شاكل ذلك ـ تولدت لديه الحاجة إلى الكتابة لكونها المعبر عن كل ما في داخل نفسه من اختلاجات ومشاعر. بل إن الكتابة أصبحت المعبر عن كل شيء. لذا فقد دون الإنسان أفكاره وتاريخه وحرص على ذلك، ودافع عنه، كل ذلك بفضل الكتابة. لقد عبر الإنسان اولاً بطريقة الرسم. فقد بدأ تعامله وكتابته بشكل تصويري، حيث كان يصور الشيء الذي يريده دون وجود علاقة صوتية أو رمزية بين المكتوب والمراد. ثم ارتقى فعبر بطريقة الرموز وذلك بأن انتقل

(٢٣) يراجع لذلك الكتب الأصولية حول حقيقة الوضع، ومنها: أصول المظفر، ج ١، ص ٥٣، وكذلك يراجع: مقدمة أبن خلدون، ص ٣٣٢، وأدب الكتاب، الصولي، ص ٢٨، وتاريخ الخط العربي، الكردي، ص ١٦.

إلى طور التمثيل التصويري الرمزي. ثم بدأ يخترع أدوات يكتب بها وأشياء يكتب عليها. فبدأت الكتابة بالأشكال ثم بالرموز وتحولت الرموز من رموز عامة وجامدة إلى رموز مقطعية تدل فيها الصورة لا على معنى الصورة فقط بل على صوت مقطع يمثل وحدة لغوية ذات معنى ثم إلى كتابة صوتية تدل فيها الصورة على صوت واحد فقط. ثم أتى طور تطور نظم الكتابة فتحول إلى استخدام الرموز الهجائية بديلاً عن الصور للدلالة على الأصوات، ثم تطورت هذه الكتابات إلى استخدام المقاطع ثم الحروف.

المراحل التي مرت بها الكتابة

لقد مرت الكتابة بعدة مراحل في تاريخ تدرجها و تطورها إلى ان وصلت إلى ما هي عليه الآن، و هذه المراحل تعتبر مهمة و من اللازم الاطلاع عليها لما في ذلك من الفائدة و المنفعة . و يمكننا ايراد ذكر هذه المراحل و التي هي :

١ـ مرحلة الصورة : وفيها عبر الإنسان عن أحداثه اليومية بتصوير واقعه من خلال صور كان يرسمها. وهذا ما نجده في الكهوف والمغارات القديمة لصور رسمها الإنسان القديم يصور فيها مراحل من حياته، وبعض أعماله اليومية، وبعض الأحداث المهمة لديه .

٢ـ مرحلة الرمز : وهي مرحلة قد تطور فيها التعبير من الصورة الكاملة للشيء المراد التعبير عنه إلى رمز يصف ذلك الشيء بأبسط معنى كـ(رسم الفم) للدلالة على الأكل مثلاً .

٣ـ مرحلة المقطع : وفي هذه المرحلة تطورت الكتابة باكتشاف أداة كتابة ألا وهي (القلم)، والانتقال من الكتابة الصورية والرمزية إلى كتابات مقطعية ذات رموز متفق على معناها .

٤ـ مرحلة الصوت : وفي هذه المرحلة بدأ تطور كتابة الأحرف وتأليف المقاطع البسيطة المكونة من حرفين عادةً، وفيها تكونت

مرحلة الهجاء الأولى.

٥ـ مرحلة الهجاء: وفي هذه المرحلة تكونت عناصر الكتابة من علامات تشبه المسامير العمودية، والمائلة، والأفقية، و اعتبرت حروفاً، واعتبار المجموعات التي تشكلها كلمات .

إن للكتابة أنواع رئيسية ومعروفة تاريخياً هي: (الكتابة المسمارية)، و(الكتابة الأيبلوية)، و(الكتابة المصرية الهيروغليفية وما يلحق بها)، و(الكتابة الأبجدية). يُرجِع المختصون جميع الكتابات إلى أربعة أصول رئيسية هي: (الخط المسماري في آشور وبابل في العراق)، و(الكتابة المصرية القديمة)، و(الخط الحيثي في أسيا)، و(الخط الصيني في الصين واليابان). ويمكن تقسيم اللغات من حيث نظم الكتابة المستخدمة فيها إلى أربعة أنواع رئيسية هي: (تصويرية صوتية)[٢٤]، و(مقطعية)[٢٥]، و(ألف بائية)[٢٦]، و(نظام الكتابة المعتمد على الخصائص الصوتية الدقيقة للوحدة الصوتية)[٢٧].

(٢٤) كأنظمة الكتابة الصينية.

(٢٥) كاللغة اليابانية (كانا)، واللغة الأثيوبية، وبعض اللغات الهندية.

(٢٦) كاللغة العربية، والعبرية، واللاتينية.

(٢٧) كاللغة الكورية (هانغول).

لقد تكلم الجنس البشري خلال تاريخه الطويل عشرات الآلاف من اللغات التي اندثر معظمها دون أن تترك أثرا لعدم وجود أو لعدم معرفة الكتابة من قبل تلك الشعوب[٢٨].

إن للكتابة الأثر الكبير في قيام الدول العصرية وتوسع العلوم وتطورها، وتطوير الإنسان ورقيه، فالكتابة هي التي مهدت لظهور العلوم العصرية، والتكنولوجيا، والصناعات المختلفة، بل إن لها الأثر الكبير في ظهور مختلف الإنجازات الحضارية التي يتوقف عليها تطور الجنس البشري. فـ(من لا يعرف الكتابة، فإنه لا يستطيع أن يستفيد شيئاً)[٢٩]، بل إنه لن يستطيع أن يحفظ إرثه، ولن يواكب الحضارة. ولو أنّنا ألقينا نظرة سريعة على النصوص القرآنية والحديثية فإننا سوف نرى مدى اهتمام الإسلام بالكتابة وحثه على تدوين العلم والمعرفة، بل سنرى مدى التحول الكبير والعظيم الذي عرفه المجتمع العربي بأن تحول من أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب ـ إلا قليلاً ـ إلى أمة رائدة في مجال القراءة والكتابة والتأليف والتصنيف في جميع المجالات وفي كافة الميادين المعرفية، و يرجع السر في

(٢٨) فأصبحت شعوباً مندثرة، ومنسية، إذ لا أثر يدل عليها، أو على وجودها.

(٢٩) مقدمة على فلسفة التربية والتعليم، ص ٤٤ ؛ و الشباب وتقليد العالم الغربي، الشيخ محمد تقي فلسفي، ص ٤.

ذلك إلى نصوص الوحي، وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف التي أولت اهتماماً بالغاً بالعلم وبالمعرفة وحثت عليهما. ومن الآيات التي أشارت إلى أهمية الكتابة :

قال تعالى : ((**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)) سورة العلق الآيات (١ ـ ٥).

وقال تعالى: ((وَلا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ)) سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

أما الأحاديث النبوية وروايات الأئمة المعصومين (عليهم السلام) فقد حثت على طلب العلم والمعرفة والاهتمام بالكتابة نذكر منها:

قال رسول الله (ص): ((المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها أوسع من الدنيا سبع مرات))[٣٠].

وقال الأمام الصادق (عليه السلام) للمفضل بن عمر الجعفي في كتاب

(٣٠) أمالي الصدوق، ج٣، ص ٤ نقلاً عن ميزان الحكمة، ج٨ ص ٣٥٢٨.

(التوحيد) عن فضل الكتابة وأهميتها: ((وكذلك الكتابة، التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين، وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرهما، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحسابات، ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض، وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم، وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم، وما روي لهم مما لا يسعهم جهله))[٣١].

(٣١) توحيد المفضل، ص ٧٩، وبحار الأنوار، ج ٣، ص ٨٢.

ما هي حقيقة الكتابة؟

هل الكتابة[٣٢] اختصاص ؟أم هي موهبة ؟أم هي عملية يقدر عليها الكثيرون؟

نقول: بقدر ما أن الكتابة ليست بالنزوة العابرة من جهة، وإنها عملية تفاعلية لكل حواس الكاتب من جهةٍ أخرى، إلا أنه ومن الخطأ أن نقيد الكتابة بالمختصين فقط. ولابد أن نعلم بأن أحد أهم أسباب العزوف عن الكتابة لدى الكثيرين هو ؛ ان الشائع أو ما يشاع بينهم أنه لا يقدر على الكتابة إلا المختص وأن الكتابة هي موهبة يهبها الله لمن يشاء فقط .

كل ذلك غير صحيح بل هو مجافٍ للصواب ومخالفٌ للواقع في اكثره . فكيف لنا أن نشيع ثقافة الكتابة لدى المجتمع ونحن نتمسك بمثل هذه الأقاويل. نعم لابد لنا أن نمنهج عملية الكتابة وأن نبين أطرها العامة وأن نوضح ثوابتها وقيودها وأسسها الصحيحة، حتى يكون للكل حرية الكتابة و التأليف . إذ لم يولد أي أحد من بطن أمه كاتباً، بل إنما تعلم وتمرن وأخطأ، ومن ثم أصبحت لديه قدرة الكتابة و التأليف . لابد لنا و في مجتمعاتنا أن

(٣٢) : المقصود بالكتابة هنا هو (التأليف) لا مطلق الكتابة .

نشجع أولادنا ومنذ الصغر على الكتابة بأن يكتبوا في كل شيء، وعن أي شيء مفيد، لكي نرتقي بهم إلى أن يكونوا علماء وكُتاب ومفكرين . نعم هناك تمايزٌ أو تميز ما بين الكتابة المختصة[٣٣]، وما بين الكتابة العامة. ففي الكتابة العامة يقدر أي شخص أن يكتب وبحسب رؤياه، وبحسب قدراته وفهمه. أما في الكتابة المختصة فلن يتمكن من ذلك إلا المختص.

و على كل من يريد الكتابة أن تتوفر فيه أمور كثيرة منها:

١ـ امتلاك الذوق والموهبة.

٢ـ أن يؤمن بأن الكتابة صناعة وفن .

٣ـ الاستفادة من تجارب السابقين في الكتابة وبالخصوص المبدعين منهم.

٤ـ التمرين المتكرر والممارسة الدائمة.

٥ـ مراعاة الانسجام بين الألفاظ والمعاني.

٦ـ مراعاة أسس الكتابة الصحيحة كعدم الحكم المسبق و عفة القلم و الانسياق مع الأدلة والمطالب العلمية بعيداً عن التعصب والتحيز متسلحاً بالأمانة العلمية.

(٣٣) أي كتابة ذوي الاختصاص في العلوم التي لا يقدر أن يكتب بها إلا المختص.

إن أفضل أسلوب تدريبي على الكتابة يتمثل في قراءة نتاجات الكتّاب الكبار من الكتابات الجيدة والمفيدة.

يقول الكاتب الفرنسي (اندريه موروا)[٣٤]: (إن أفضل أسلوب تدريبي للكتّاب المبتدئين والشباب يتمثل في قراءة كتابات عمالقة الأدب إذ إن المطالعة الدقيقة لمثل هذه الكتابات تكشف للكاتب المبتدئ عن الطريق والأسلوب الذي يجب أن يسلك لغرض الإتيان بالمؤلفات العملاقة والاطلاع على الأسلوب والصياغة الأدبية لأعمال كبار الأدباء يهيئ أمام ناظريه النماذج والأمثلة القيمة التي يحتذى بها. ويجب على أولئك الذين يريدون أن يصبحوا كتاباً أن يعرفوا الكتّاب الحقيقيين في عصرهم، والسابقين لهم، وأن يقرؤوا مؤلفاتهم ونتاجاتهم ؛ لكي يصبحوا موزوني الحديث، ويصبح بإمكانهم التمييز بين الكتابات الكثيرة التي يطالعونها يومياً فضلاً عن اكتسابهم للذخيرة الروحية الفاخرة اللازمة لإبداع النتاجات والأعمال القيمة)[٣٥].

(٣٤) اندريه موروا (١٨٨٥ ـ ١٩٦٧ م).

(٣٥) أسلوب الكتّاب الكبار المعاصرين، حسين رزمجو، ص ٥٧.

أهمية الكتابة والتدوين
في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)

إن الأحاديث الدالة على أهمية التدوين والكتابة كثيرة. وقد وردت لتبيين أهمية التدوين و الكتابة، و منها:

١ـ كون التدوين هو أساس لحفظ العلوم.

قال رسول الله (ص): ((اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء، وإنما ذهاب العلم بموت العلماء))[٣٦].

قال أبوعبد الله (عليه السلام) للمفضل بن عمر الجعفي: ((اكتب، وبُثَ علمك في إخوانك، فإن مُتَ فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج، لا يأنسون فيه إلا بكتبهم))[٣٧].

٢ـ أهمية التدوين في حفظ العلم.

وفي كتاب عاصم بن حميد الحناط، عن أبي بصير، قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: ((دخل علي أُناس من أهل البصرة، فسألوني عن أحاديث، فكتبوها، فما يمنعكم من الكتاب؟

(٣٦) كنز العمال، ٢٨٧٣٣.

(٣٧) الكافي، الكليني، ج ١، ص ٤٢ كتاب فضل العلم، باب رواية الكتب، الحديث (١١)، والبحار، ج ٢، ص ١٥٢، ح ٨٢٧

أما إنكم لن تحفظوا حتى تكتبوا))[٣٨].

وأوصى (عليه السلام) تلميذه الفقيه عبيد بن زرارة بكتابة العلم، فقال (عليه السلام) له: ((إن رسول الله " ص " قال: قيدوا العلم، قيل وما تقييده؟ قال: كتابته[٣٩]))[٤٠].

٣ـ لا حفظ بلا تدوين.

عن حسين الأحمسي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ((القلب يتكل على الكتاب))[٤١].

٤ـ التدوين يحفظ العلوم لكل من يحتاجها.

عن عبيد بن زرارة، قال: قال أبوعبد الله (عليه السلام): ((احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها))[٤٢].

٥ـ كون الكتاب والكتابة ضرورة دينية.

قال رسول الله (ص): ((المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار.

(٣٨) الكافي، ج ١، ص ٤٢، ح ٩، والبحار، ج ٢، ص ١٥٣.

(٣٩) كنز العمال، ٢٩٤٤٢.

(٤٠) أمالي الطوسي، ص ٩٥.

(٤١) الكافي، ج ١، ص ٤٢، ح ٨.

(٤٢) الكافي، ج ١، ص ٤٢، ح ١٠.

..))[٤٣].

وقال رسول الله (ص): ((من كتب عني علماً أو حديثاً لم يزل يُكتب له الأجر ما بقي ذلك العلم والحديث))[٤٤].

(٤٣) أمالي الصدوق، ص ٤٠.

(٤٤) كنز العمال، ٢٨٩٥١.

الكاتب عليه ان يعرف كيف يقرأ

النص بين الفهم الداخلي و الفهم الخارجي

يحتاج النص إلى (آليات) لفهمه، فهناك من يفهم النص من (الداخل) و يعمل على ذلك، و هناك من يفهمه من (الخارج) و ينصب عمله على ذلك ايضاً .

فأي الفهمين هو الأفضل ؟

في الواقع لقد تنوعت الآراء في هذه المسألة المهمة و الشائكة في بعض الأحيان .

١ـ فدعاة الفهم (الداخلي) يقولون ان فهمهم هو الصحيح .وان من يفهم النص من (الخارج) ـ بحسب دعاة الفهم الداخلي ـ فهو متمسك بالقشور فقط .

٢ـ أما دعاة الفهم من (الخارج) فيقولون بأنهم لا يريدون ان يكونوا حبيسي النص، بل هم يفهمونه و يتجاوزون آليات فهمه (المحددة) ليحققوا فهماً أوسع و أشمل، بل و متجدد مع المتغيرات الزمانية و المكانية .

و هنا نقول : لا يمكن انكار الفهم (الداخلي) للنص لأنه الأساس في فهم (حقيقة النص) لكن بشرط ان لا نكون اسرى له، و ان لا تدفعنا (النصوصية الزائدة) إلى اقفال العقل على الموجود، و

بالتالي تسفيه أو ربما تكفير كل ما عدى ذلك .

أما الفهم (الخارجي) للنص فيكون محموداً لو وَضَعَ في اساسياته احترام النص أولاً، و العمل على تحقيق الفهم الصحيح له بدرجة أوسع و بآليات أكثر ليكون متلائماً مع الواقع الزمكاني .

بل ان الابداع يكمن في فهم النص من (الخارج) لأن (الأدوات) هنا تكون أكثر، و تتنوع بحيث تحقق الرؤيا للنص من جميع جوانبه بلا اغفال لأي جزئية، مضافاً إلى عدم الخوف من النص، و عدم التقديس المفرط، خصوصاً لو كانت تلك النصوص قابلة للنقاش العلمي و ليست نصوصاً (معصومة) .

و هنا فإن علينا ان نعمل ضمن آلية (التعقيل في الفهم) إذ هي من سيوصلنا إلى تحقيق فهم أفضل و أوسع، مع عدم الجمود على جانب أو اغفال جانب ليس فيه أدنى منع لو اردنا استغلاله .

أما حصر الفهم في موارد و اطر و آليات محددة فهو لن يوصلنا إلى أي فهم كامل للنص مطلقاً، و بالتالي سيكون القارئ أسيراً للنص . بل لن يستطيع تحقيق الإبداع المطلوب منه كـ(متصدي) .

إن (أدوات المعرفة) كثيرة و متنوعة، و تستطيع ارشاد (المريد) إلى ما يريده و أكثر بشرط ان يفهمها و يُحسن استعمالها، منها الكتابة التي يجب ان تنطلق من القراءة اولاً .

الكاتب عليه ان يعرف كيف يكتب

الصنمية في الكتابة(٤٥)

لقد وضعت العلوم و قُعدت لها أسس و قواعد ضمن رؤية منهجية، بحيث ظل يُعرف ان لكل علم موضوعه، و أسسه، و قواعده، و تقسيماته .

هناك علوم لها قواعد ثابتة لا يمكن ان تنفك ابداً و لا يمكن مخالفتها مطلقاً كالرياضيات على سبيل المثال . و هناك علوم وضعت لها قواعد لكن قواعدها كثيرة الاستثناءات كـ(النحو) مثالاً . و هناك علوم لا قواعد ثابتة لها كالأنثروبولوجيا .

إن الجامع المشترك لكل ما تقدم ؛ ان الإنسان وضع كل ذلك لتقريب الفهم و ضمن قواعد (طريقية) . فإذا كان العالِم الفلاني قد قال انه يرى في العلم الفلاني كذا و كذا .. و غيره قال كذا و كذا ايضاً .. و بعد سنين يصبح كلامهما مرجعاً للانطلاق نحو فهم ذلك العلم .

السؤال حينها هو :

هل مخالفتهما محرم شرعاً ؟

(٤٥) : ملاحظة : كلامنا هنا في العلوم الإنسانوية التي وضعها و اخترعها الإنسان العادي .

أم هو ممنوع عقلاً ؟

أم ممنوع علمياً ؟

أم ماذا ؟؟؟

الجواب هو :

لا مخالفة شرعية مطلقاً في الذهاب إلى خلاف ما قالا به . إذ ان المخالفة الشرعية تتحقق عند مخالفة الشرع لا عند مخالفة الشخوص من البشر العاديين .

و لن تكون المخالفة ممنوعة عقلاً ما لم تستلزم التهكم أو التسقيط أو التعدي و التجري اللاأخلاقي، أو المخالفة العلمية صراحةً .

و كذلك فإن المخالفة لن تكون ممنوعة علمياً لأن العلم قابل للتطور و التجدد بتطور و تجدد الآليات .

إذن : إن من يمنع كل مخالفة علمية هو يدعو إلى (صنمية) في الكتابة أي (صنمية كتابية) بامتياز، و تلك هي المخالفة الحقيقية لا ما تقدم .

الكاتب عليه ان يميز ما بين الصواب و الخطأ

الفوضوية في الكتابة

كل شيء لا يعتمد على أسس و قواعد يعتبر فوضوياً، و كل فوضوي فمن المؤكد انه لا يمكن التعرف عليه و لا التنبؤ بما ستؤول عليه نتائجه .

فهل ان الدعوة إلى (الاعتباطية) و (الفوضوية) في الكتابة هي نظرية جديدة تدعو إلى الحرية، و إلى ضرب القيود عرض الجدار. أم انها (انفلاتية) سيصعب معها الفهم، و سيكون مستحيلاً معها معرفة هل حصل تقدم أم تقهقر أم توقف في واقع (الكتابة) و (توصيل المعلومات) و (سلم العلم) و (مدارج المعرفة) .

لقد ثارت في الفترة الأخيرة دعوات نحو (التحرر) أو (الحرية) في الكتابة . و في واقع الأمر لا نعرف الأسس التي تعتمد عليها هذه الدعوات .

نقول : هل هذه (الحرية) أو (التحرر) معلوم و له اسس ام هو بلا اسس اصلاً .

فإن كانت له اسس فالرجوع إلى المربع الأول هو هو . اما ان كان بلا اسس فهي (الفوضوية) بكل معنى الكلمة . ذلك ان للعلوم اسساً و مرتكزات و مدارج تأتي شيئاً فشيئاً .

إن هذا الجدل العقيم ما بين دعاة (المنهجية المحضة) و دعاة (الفوضوية المحضة) في الكتابة و غيرها ما هو إلا جدل للإلهاء و لتشتيت الأذهان، و هو نوع من (الحرب الناعمة) الخفية التي تستهلك عقولنا و طاقاتنا و تبعدنا عن الهدف الحقيقي . دوامة يضعها (المتربصون) ليستغلوا بها عقول ذوي (الفراغ) لإبعادهم عن واقعهم و عن ثوابتهم .

منهج الكتابة الحقيقي

بين نص هو (متن) و نص آخر هو (شرح) فارق كون الأول هو الأصل و الثاني هو شرح له . و بذلك يختلف الشرح من شارح إلى آخر، و لا غرو في ذلك ما دام الكل يريد التوصيل بطريقته و اسلوبه .

في كثير من العلوم وضعت نظريات كان هدفها الأول و الأخير هو التوصيل ـ لا أكثر و لا أقل ـ في اصل وضعها، فكانت بذلك (طريقية) و ليست (موضوعية) . و نحن نستخدم تلك النظريات معيناً و طريقاً للفهم . لكن ان تصل الحال بهذه النصوص الشارحة إلى حد (الحاكمية) و من يخالفها يتهم بشتى الاتهامات فذلك صدقاً (صنمية فكرية) و (بدعة) لا اساس لها مطلقاً .

ان الشروح و النظريات و المناهج انما جاءت لتكون طريقاً إلى

(تحقيق الفهم) و ليست هي الفهم مطلقاً .

و النظريات و الشروح و المناهج (طريقية) من اجل تحصيل الاستيعاب التدرجي و الذي انطلق من واقع له تأثيره الكبير على تكوين تلك النظريات و المناهج، فالواقع الديني يفرز تأثراً دينياً، و الواقع غير الديني يفرز تأثراً لا دينياً.

الأمر كل الأمر ؛ ان لا ندعوا إلى (صنمية كتابية) عندما نريد الكتابة او الشرح او التحليل . ذلك ان مخالفة النظريات التي وضعها العلماء هي مخالفة علمية و ليست مخالفة دينية مطلقاً .

و في المقابل فإن المصيبة انك عندما تقابل احداً منهم تجده يظن انه و بمجرد ان درس (٦) اشهر قد اصبح عالماً و مؤلفاً يوازي كبار العلماء و المؤلفين !؟

ان الطامة كل الطامة حين يظن (المسلكي) بنفسه انه قد اصبح مؤلفاً نحريراً يزاحم بكتاباته كتابات العلماء، بل تجده يتشدق بانه كاتب و مؤلف كالطوسي و المحقق الكركي !!!؟؟؟

و لا ادري هل هذا جهل مركب ؟ ام هي شيزوفرينيا ؟ ام تعمد لتدمير ما بقي من نورٍ خافتٍ في مؤسساتنا التعليمية ؟

ان المطالع للمؤلفات و الكتابات التي كتبها هؤلاء يجدها واحدة من ثلاث :

١ـ سرقات من الانترنيت .

٢ـ سرقات من كتابات و مؤلفات سابقة .

٣ـ سرقات من ابحاث طلبتهم .

و الحق يقال : نعم، و لم لا و الشخص منهم اصبح مجرد (حصالة) لجمع النقود فقط، يتنقل بين الجامعات و الكليات من الصباح إلى الليل ليزيد من (راتبه الشهري)، و ليصل إلى البيت ليلاً و هو جثة هامدة من شدة التعب . و هكذا على هذا الروتين اليومي، فأين و متى سيجد الوقت للقراءة أو الكتابة !!؟؟

ان مؤسساتنا التعليمية (بالنزع الأخير)، و موتها قريبٌ جداً، و ستموت غير مأسوف عليها لأنها مكنت قاتلها من نفسها منذ البداية.

ثوابت في عالم الكتابة

ان جدلية الثابت و المتغير جدلية لا تنتهي مطلقاً . فهناك من عنده ثوابت هي عند الغير متغيرات .. كما ان هناك متغيرات هي عند الغير ثوابت ..

في هذه السطور القليلة نود التعرف على نوع من الثوابت في عالم (الكتابة) حتى نحاول ان لا نتعداها و هي :

١ـ الثوابت المعرفية : اذ المعرفة شياع انساني لكل بني الإنسان بما هي معرفة حقة، إذ لا نؤمن بما خلقته الايديولوجيا من اشباه المعرفة لتجعلها بديلاً عن المعرفة الحقيقية .

٢ـ الثوابت الإنسانية : فالإنسان كان و لازال غاية و مبتغى، فهو مدار كل شيء، و هو المقصود بالمعرفة دون غيره، و لا بد من مراعاة انسانيته و عدم التعدي عليها بأي شكل من الاشكال .

٣ـ الثوابت الاخلاقية : إذ ان بقاء الأمم و ديمومتها بأخلاقها، و من دونها لن تكون أمة (بشرية) مطلقاً .

٤ـ الثوابت الدينية : (الدين بما هو دين) فلكل شعب و لكل طائفة و لكل فئة دين خاص بها، و الأديان أولاً و بالذات محترمة، و النقاش يأتي حول احقيتها بالدرجة الثانية بعد التعرف على حقيقة (التوحيد) بالدرجة الأولى .

ان ما ذكرناه هنا من (ثوابت) لا بد من مراعاتها، و ليس (التقيد) بها . ذلك من اجل الانطلاق في كتابة موضوعية يتحقق فيها عنصر الفائدة و الابداع .

الأخلاق العلمية

الإنسان كائن أخلاقي، و هذه حقيقة لابد للكل أن يقرَّ بها . إذ بدونها لن يكون هناك فرق بينه و بين العجماوات . فالإنسان يتفرد بالأخلاق، و هذه أيضاً حقيقة جوهرية، و ميزة إنسانية عظمى على الكل أن يعترف بها . فالأخلاق هي عماد كل خير و نبل و نقاء، و خلافها الشيطنة، و الظلامية، و التسافل، و الهمجية .

و ما اقترنت الأخلاق بشيءٍ إلا و زانته، و ما فارقته إلا و شان . بالأخلاق ترتقي الأمم و تُحترم، و تظل خالدة الذكر و الذكرى .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيـــت

فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا[٤٦]

إنّ الأخلاق موجودة في داخل كلّ فرد، و هي مرافقة لوجود أي أمة مهما كان دينها أو لغتها . إلا أن هذه الجذوة تحتاج إلى استنهاض و إظهار . و الدليل على وجودها قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[٤٧] .

فلا تمامية إلا لما هو موجودٌ، و لا تمامية إلا لما يعتريه النقص

(٤٦) : للشاعر المصري : حافظ إبراهيم .

(٤٧) : تفسير القرطبي، ج٧، ص ٣٤٥ .

و الضمور .

إن من أهم أسباب تخليد الأمم و الحضارات و ازدهارها هو ؛ العلم، و العلم بلا أخلاق يصبح مجرد آلة خالية من كل المشاعر و الأحاسيس . فأساس العلم ؛ الأخلاق، و الأخلاق زينة العلم، و عند انحلال هذه الثنائية فإن الخلل الذي سيحصل سيكون مدمراً للوجود الإنساني بشكل كبير و مخيف .

إن العلم يرتقي بالأخلاق، و الأخلاق تنتشر و تزدهر بواسطة العلم .

إن العلم بلا أخلاق أشبه بحربٍ غير شريفةٍ ستُستخدم فيها جميع الأسلحة المحظورة، و تمارس فيها جميع صور التجاوزات اللاأخلاقية في سبيل الانتصار .

إن الأخلاق من أساسيات الأديان، فكيف لصاحب الدين ان يتجرد منها ساعة العمل أو التجارة أو ساعة طلب العلم و ما شاكل ذلك ؟!

إن الأخلاق من أساسيات الإنسانية، فكيف يتركها الإنسان ليلهث وراء شهواته الحيوانية مسبتاً عقله و مسلطاً شهوته على كل حواسه . إننا نبقى بالأخلاق، و نفنى بدونها، فالبقاء من غيرها ما هو إلا بقاءٌ اسمي مجرد عن الروح، و بعيدٌ كل البعد عن الوجود

الحقيقي .

إن العلوم التي تتجرد من الأخلاق ما هي إلا علومٌ شريرة، إذ أن الرادع عن حصول المساوئ هو وجود (أخلاقيات العلم) و مع عدم وجودها فلا رادع من أن يُرتكب أيُ شيءٍ في سبيل الوجود و الهيمنة .

إن العالم شاهدٌ على مذابح كبرى ارتُكِبت تحت مظلة العلم، من تجارب مورست على شعوب، و مذابح لتجربة الأسلحة الجديدة، و إبادات باسم الهيمنة على الأراضي و الثروات، كلها انطلقت من تحت مظلة العلم الغير إنساني . إن الحربين العالميتين هما أكبر شاهدٍ على الانحطاط الأخلاقي للمجتمعات التي تدّعي التطور و الإنسانية . فلابد لكل علمٍ من أخلاقٍ تسيطر عليه، فمن دونها لا حرمة و لا كرامة لأي شيءٍ أبداً . علينا أن نؤطر جميع العلوم بأطر أخلاقية، و نطلبها تحت مظلة الأخلاق، و نمارسها بوازعٍ أخلاقي، فمن المعيب أن نفصل ما بين العلم و الأخلاق تحت مدعيات مخالفة لجميع القيم و الأذواق .

(لا يزال الموقف اللاأخلاقي نفسه سبباً في تنميط المعرفة و أسرها . الأمر واضح إذا ما تأمّلنا عدد الشعارات التي تُرفع اليوم دفاعاً عن حقوق الإنسان، و كيف يتمّ ذبح الإنسان على أكثر من

غواية للمجتمع الحديث !؟)[٤٨] .

إن من أساسيات العلم أن يكون له حامي، و ليس هناك أفضل من الأخلاق كحامٍ و مدافعٍ عن العلم و أصحابه . فالأخلاق تحمي العلم من أن يخرج عن روحيته إلى المادية المقيتة ليكون مجرد آلة جامدة تفتقد لكل إحساس و لا تعرف التمييز، لا بل قد تكون أداة لزرع التفرقة و الطبقية و التمييز و هذا ما نشاهده ـ على سبيل المثال ـ عند ـ أغلب ـ من يحملون الشهادات العليا، فبمجرد أن ينال (الدكتوراه)[٤٩] نراه يعامل الناس جميعاً على أنهم جهلة ولا عالم إلا هو فقط، و هو ـ في حقيقة الأمر ـ لا يعلم مدى الجهل المركب الذي يعيشه .

نعم، لابد لكل علمٍ من أخلاق تُمنهج له طريقه، و ترسم له مساراته، و تعطيه الروحية و الحياة . العلم بلا أخلاق كالشجرة اليابسة، و كالصحراء القاحلة، و المدينة المهجورة .

لابد لنا عند تنظيمنا لمؤسساتنا العلمية أن نركز في بنائها على الأخلاق و على التربية الصالحة . إن المدرسة مؤسسة تربوية و علمية، لكننا نشاهدها تعطي علماً فقط، و كذلك الجامعات و

(٤٨) : أخلاقنا في الحاجة إلى فلسفة أخلاق بديلة، إدريس هاني، ص ١٠٧ .

(٤٩) : ليس الكل،والمشار اليهم هم فقط من يمتلكون هذا الحس التكبري المقيت .

غيرها.

نعم، إن للعلم و الأخلاق مسار واحد إذ يؤثر أحدهما في الآخر تأثيراً تكاملياً، لكننا نجد أن مسارهما أصبح مساراً تنافسياً من أجل الظهور لأحدهما على حساب الآخر و لطمسه تكون الغلبة فيها للعلم على الأخلاق !؟

إن علينا أن نؤسس لـ(ميتا ـ أخلاق)[٥٠] تكون أساساً في رقينا الروحي قبل الجسدي . و لابد أن (نُشرعِن) العلم بالشريعة الأخلاقية حتى لا يُضلّ السبيل و يخرج عن جادة الصواب .

(٥٠) : ميتا ـ أخلاق : أي المبادئ و الأولى و الأسس التي تقوم عليها الأخلاق .

الكتاب

كنز المعرفة وخير جليس

توطئة

إن الكتاب يعتبر من الأدوات التي حفظت المعرفة، فهو الخزين للمعلومات، و هو الحافظ لتراث الأمم، و هو الدليل على العبقرية الإنسانية، فالكتاب ضرورة من ضروريات العلوم، و ضروري في حفظ تراث الأمم و تاريخها، فهو من الأمور الأساسية لتطوير الوعي و المعرفة الإنسانية، و بالتالي إنقاذ الإنسان و تصحيح مساره، و الدليل على ذلك عدم خلو أي دين سماوي من كتاب . بل حتى الأديان و المذاهب الوضعية لها كتبها الخاصة بها، فالكتاب أساس في حفظ الشرائع و الأنظمة و القوانين .

إن الكتاب كان و ما زال هو الوسيلة الأساسية للتثقيف الجيد، حيث نستطيع أن نمارس حرية كاملة في اختياره، و هو لا يحتاج إلى آلات مساعدة للاطلاع عليه، إضافة إلى أن ثمنه رخيص إذا ما قورن بغيره من الوسائل الأخرى .

الكتاب

عندما نأتي إلى المعارف و العلوم فإنه لا بد لها من كتب تدون فيها، لتوضح فيها أساسيات تلك العلوم، و إلا لضاع كل شيء، فلا دين و لا مذهب و لا علم مع انعدم الكتب أو ما تسمى بـ(المدونات).

يقول (جون ديوي)[٥١]: (إن جميع ما يرثه البشر من المواريث لا يستفاد منه بصورة مباشرة من قبل الأفراد، و بالتالي يجب أن يُعلم قسم مهم و ضروري منه إلى الأفراد بشكل من الأشكال، و هنا نتبين أهمية و ضرورة التعليم و التربية الإلزاميين، و الدروس المكتوبة، أو المقروءة، و لا يمكن نقل الإرث الحضاري الثمين دون استخدام اللغة التي يعتبر الخط صورة عنها، و لهذا السبب فإن التعليم و التربية في المجتمعات المتحضرة يرتبطان بالكتاب، و من لا يعرف الكتابة فإنه لا يستطيع أن يستفيد شيئاً ...)[٥٢].

إذن فالتحضر و التربية و التعليم يرتبط وجودها جميعاً مع

(٥١) جون ديوي (١٨٥٩ ـ ١٩٥٢ م).

(٥٢) مقدمة على فلسفة التربية و التعليم، ص ٤٤، و الشباب و تقليد العالم الغربي، الشيخ محمد تقي فلسفي، ص ٤.

وجود الكتاب، و لا كتاب بلا كتابة، و لا استفادة بلا قدرة على القراءة، كما و لا يمكن نشر و تعليم القراءة بلا وجود مؤسسة تعليمية و كادر تعليمي قادر على كل ذلك، فهي سلسلة مترابطة الأطراف لا يمكن الاستغناء عن أي حلقة من حلقاتها بتاتاً.

يُنقل عن (شمس الدين البابلي)[٥٣] قوله حول الداعي إلى تأليف الكتب : (لا يؤلف أحد كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة، و لا يمكن التأليف في غيرها، و هي : إما أن يؤلف من شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره، دون أن يخل بشيء في معانيه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه، أو شيء مفرق يجمعه)[٥٤].

أنواع الكتب المقروءة

إن الكتب المقروءة لها أنواعٌ خاصة تختلف من حيث المحتوى، و من حيث الفائدة التي توفرها لقارئيها، و يمكن إجمالها بالشكل الآتي :

١ـ كتب لا تقرأ مرة واحدة، و لا تقرأ كلها، و من أمثلتها :

(٥٣) شمس الدين البابلي (ت ١٠٧٧ هـ) .

(٥٤) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله الملا المحبي، ج ٤، ص ٤١ .

كتب المراجع، و الموسوعات، و المعاجم، و الشروحات الكبرى .

٢ـ كتب تقرأ للتسلية و تمضية الوقت و للترفيه، و هي التي لا ترفع من المستوى العلمي لدى القارئ، و لا تعمق فهمه، و لا تعمق إدراكه، إنما هي لمجرد تمضية للوقت .

٣ـ الكتب ذات المعاني و المفردات العلمية الرصينة، و التي تضيف للقارئ الشيء الكثير عند قراءتها، و تحتاج منه إلى نوع من بطئ القراءة لما فيها من علوم، و فوائد، و عبر، و تتميز هذه الكتب بأن القارئ يشعر بعد قراءته لها أنه استفاد الكثير، و هو بحاجة إلى الرجوع إليها متى ما دعته الحاجة إلى المزيد .

٤ـ الكتب التي لا تنضب، و لا تُمل، و لا يَمل الإنسان من قراءتها، فهي عميقة في محتواها، جديدة مع كل تجدد، مواكبة لكل تقدم، ذلك هو القرآن الكريم الذي لا تنقضي غرائبه، و لا تفنى عجائبه .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن القرآن الكريم : ((و إن القرآن ظاهره أنيق، و باطنه عميق، لا تفنى عجائبه، و لا تنقضي غرائبه، و لا تكشف الظلمات إلا به))[٥٥] .

(٥٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٨ .

المصادر و المراجع الحقيقة و الفارق

لا بد لكل باحث، أو قارئ أن يكون لديه الإلمام بما يريد قراءته، أو بحثه، أو الكتابة عنه، و لا بد أن يكون لديه العلم بالفرق ما بين (المصادر)، و (المراجع) عند استقاءه للمعلومات، و عن ذلك نقول :

١ـ المصادر :هي الكتب القديمة التي يعود إليها الباحث ليأخذ منها مادته الخام[٥٦] . فالمصادر تمثل المادة الأولى التي كتبها كاتبها في موضوعٍ ما، مع ملاحظة قضية السبق في الكتابة، و الإحاطة بالموضوع، مع قدمه . فيشمل المصدر الوثائق و الكتب و المستمسكات التي يستمد منها الباحث مادته في البحث، و يقسم المصدر عند اصحاب الاختصاص إلى (أصلي) و (ثانوي) .

إن من المصادر ما يسمى بـ(أمهات الكتب) إي الكتب الرئيسية في موضوعها، و التي أسست للكثير من العلوم، و أصبحت المنطلق لذلك .

اننا نلاحظ بأن تقييم رصانة أي بحث يكون من خلال المصادر الرئيسية التي أعتمد عليها الباحث، فكلما كثرت المصادر، و قلت

(٥٦) منهج البحث الأدبي، علي جواد الطاهر، ص ٧٩.

المراجع كان البحث قوياً و رصيناً .

كما و ان القدم ليس شرطاً في اعتبار الكتاب مصدراً، بل الشرط أن يكون كتاباً مؤسساً في العلم، فكثير من العلوم ظهرت حديثاً، و كانت لها كتبها التي وضعت أسسها، و هذه الكتب تعتبر مصادر لها مهما كان تاريخ تأسيسها .

و للمصادر ميزات مهمة منها : (القدم، القرب من الحدث، التماس مع الموضوع، أسبقية الكتابة) .

لكن مع ملاحظة أنه ليس كل كتاب قديم هو مصدر دائماً، كما و أنه ليس كل كتاب قد قيل عنه أنه مصدر هو معصوم من النقد، و بعيد عن الوضع، و التزوير، و الكذب .

٢ـ المراجع : و هي المؤلفات الحديثة التي كتبها مؤلفون معاصرون لنا، أو من أبناء العصر الحديث[٥٧] .

فهي كتب ثانوية استقت أكثر معلوماتها من المصادر المعتبرة، ذلك لإضفاء عنصر القوة و الرصانة على المعلومة الموجودة فيها .

و المراجع تعتبر أدوات مساعدة لمن يريد الرجوع للمصادر المهمة في كل علم، فهي تساعد الباحث و من خلال فهرس

(٥٧) المصدر السابق، ص ٧٩ .

المصادر ليتعرف على مصادر كثيرة هو بحاجة لها .

إن (المراجع) قد أخذت أسمها من كونها تسهل على الباحث عملية الرجوع إلى المعلومات و المصادر المعتبرة في الموضوع المراد بحثه من خلال إشارتها إليه في هوامشها، أو في فهرس مصادرها المدون في آخر الكتاب عادةً .

و ليس شرطاً أن تكون المراجع كتباً، فقد تكون مجلات، و صحف، و دوريات، و حتى مواقع إلكترونية، بل نجد أن المواقع الإلكترونية و بمحتوياتها الوفيرة و الثرة أخذت تنافس الكتب و المكتبات، و بالخصوص لامتلاكها نظام البحث (**Search**) الذي يسهل على الباحث إيجاد أي كلمة، في أي مكان، و في أي كتاب و في أي موقع خلال ثوانٍ .

بل تطور نظام الكتب، و المكتبات ليكون إلكترونياً لما لهذه الخاصية من سهولة في إيجاد المعلومة المرادة، و تقليل عناء البحث، و توفير الجهد و الطاقة، و توفير المادة أيضاً بسهولة و يسر.

أسس التعامل مع المصادر والمراجع

إن من أكثر الخطوات أهمّية ودقّة في سلسلة مراحل كتابة البحث العلمي، كيفية تعامل الطالب والباحث مع المصادر والمراجع التي يستند إليها ويعتمد عليها في إنجاز بحثه، ولكي يملك الطالب مهارة التعامل مع تلك المصادر والمراجع، نضع بين يديه خارطة طريق لذلك في عدّة نقاط:

١ـ على الطالب التفتيش والتنقيب عن أمّهات الكتب والمصادر والمراجع المرتبطة بموضوع البحث، كخطوة من أهمّ خطوات كتابة البحث العلمي. والعمل على إعداد قائمة كبيرة مسبقة بالمصادر والمراجع، من خلال عدّة آليات تحدّثنا عنها، وهذه الخطوة تختصر على الطالب تكرار الجهد المبذول بالمعالجة الوافية في كتب سابقة للموضوع الذي اختاره، كما تمدّه بالقدرة على المقارنة بين بحثه والدراسات الأخرى من حيث القيمة المضافة والجديد الذي قد يقدّمه في معالجة موضوع بحثه.

٢ـ التفحّص الأولي السريع للمصادر والمراجع، وتصنيف المصادر حسب الأولية والأهمّية، واختيار ما يناسب طبيعة بحثه بنحو يجعله أكثر قيمة، فمثلاً على الطالب مهما أمكن أن يبحث في المصادر قبل المراجع، فإنّ اعتماد المصادر أولى من اعتماد

المراجع، وعليه التنبّه إلى اسم القيمة العلمية للمؤلّف الذي يكتب في موضوع بحثه، أو النظر إلى القيمة التاريخية للكتاب من حيث قربه أو بعده الزماني عن الحدث، موضوع الدراسة... أو عدم الاعتماد على المصادر والمراجع البعيدة عن الدقّة والموضوعية والأمانة العلمية، لكون أصحابها ذوي أهواء وميول متعصّبة مثلاً، أو أن تكون تلك الكتب لا تذكر مصادرها ولا توثّق مادّتها، فلا يعتدّ بها من حيث القيمة العلمية.

٣ـ على الطالب الاعتماد على المصادر المباشرة دون المصادر الوسيطة، بمعنى أنّ موضوع بحثه لو كان عن عصمة النبي عند الإمامية الاثني عشرية، فيعتمد على مصادر علمائهم في فهم نظرية العصمة عندهم، لا أن يعتمد على مصادر أشعرية أو معتزلية مثلاً، وكذا العكس.

٤ـ بعد اختيار المناسب من المصادر والمراجع، يقوم الطالب بقراءة استطلاعية سريعة فيها، تهدف إلى معرفة مواطن استخراج الأسئلة والاستفهامات ومعرفة رؤوس أقلام المحاور ومواضع الاقتباسات وغيرها من المعلومات التي يصلح أن تشكّل نقاطاً للدراسة والمعالجة في البحث.

٥ـ مطالعة وقراءة المصادر والمراجع بشكل معمّق ودقيق،

والتقميش والاقتباس منها.

٦ـ يستحسن أن تكون القراءة والمراجعة باستخدام نفس المصدر عند تعدّد طبعاته.

المعاجم والقواميس

المعاجم والقواميس: المعجم كتاب كبير الحجم عادة، يشتمل على مفردات لغة ما، أو مصطلحات علم ما، على صورة محدّدة، (الترتيب الهجائي مثلاً)، مع توضيح تهجئة هذه المفردات أو المصطلحات، وشرح معناها، وذكر مرادفاتها وأضدادها، وتاريخ استعمالها وتطوّرها.

ما هو المعجم؟

ولذا، يعرّف - أي المعجم - بأنّه كتاب مفردات مضبوطة الشكل مع تفسير معناها، لتمييزه عن الموسوعات أو دوائر المعارف التي تهتمّ بإعطاء معلومات موسّعة وأفكار مسهبة عن هذه الألفاظ أو المصطلحات.

مثال على ذلك:

١- المعاجم اللغوية:

- معجم العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي.
- مختار الصحاح، لأبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور.
- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

٢- المعاجم الفلسفية:

- المعجم الفلسفي، جميل صليبا.
- المعجم الفلسفي، مراد وهبة.
- المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور.

وهناك معاجم وقواميس فقهية، واجتماعية، واقتصادية.

نماذج من المراجع

١- الكتب: التي ترتبط بموضوع البحث أو بجزء منه وتستند في مادّتها إلى أمهات الكتب.

٢- الموسوعات ودوائر المعارف: تعتبر دوائر المعارف والموسوعات خزّان معلومات ومعارف ذات قيمة عالية، كما تكشف للباحث عن مصادر ومراجع كثيرة ذات صلة قويّة بموضوعه، وتعتبر من أهمّ المصادر والمراجع للباحثين على اختلافهم، لأنّها نتاج علماء متخصّصين تضافرت جهودهم على إخراجها. وهي كناية عن أبحاث دقيقة، مختصرة أو طويلة، موثّقة غالباً بالمصادر الأصلية والمراجع القيّمة.

الفهرس

القراءة ٥
وقفات مهمة في عالم القراءة ٥
توطئة ٧
القراءة ٩
ما هي أسباب العزوف عن القراءة ١٧
وقفة مهمة مع خرافات شائعة في عالم القراءة ٢٠
ما هي أساليب ترغيب الطفل بالقراءة ٢٢
منهجية القراءة .. أين و كيف ؟ ٢٥
القراءة بين سلطة القارئ و سلطة النص ٢٧
أنواع القراءة ٣٠
١ـ القراءة الأكتشافية أو (الاستكشافية) : ٣٠
٢ـ القراءة السريعة : ٣٠
٣ـ القراءة الانتقائية : ٣١
٤ـ القراءة التحليلية : ٣١
٥ـ القراءة المحورية : ٣١
الكتابة ٣٣
مغامرة القلم في اقتحام السطور ٣٣

توطئة ٣٥
الكتابة ٣٧
المراحل التي مرت بها الكتابة ٤١
ما هي حقيقة الكتابة؟ ٤٦
هل الكتابة() اختصاص ؟أم هي موهبة ؟أم هي عملية يقدر عليها الكثيرون؟ ٤٦
أهمية الكتابة والتدوين ٤٩
في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)..... ٤٩
١ـ كون التدوين هو أساس لحفظ العلوم..... ٤٩
٢ـ أهمية التدوين في حفظ العلم..... ٤٩
٣ـ لا حفظ بلا تدوين..... ٥٠
٤ـ التدوين يحفظ العلوم لكل من يحتاجها..... ٥٠
٥ـ كون الكتاب والكتابة ضرورة دينية..... ٥٠
الكاتب عليه ان يعرف كيف يقرأ..... ٥٢
النص بين الفهم الداخلي و الفهم الخارجي..... ٥٢
الكاتب عليه ان يعرف كيف يكتب..... ٥٤
الصنمية في الكتابة() ٥٤
الكاتب عليه ان يميز ما بين الصواب و الخطأ ٥٦

الفوضوية في الكتابة ٥٦
منهج الكتابة الحقيقي ٥٧
ثوابت في عالم الكتابة ٦٠
الأخلاق العلمية ٦٢
الكتاب ٦٧
كنز المعرفة وخير جليس ٦٧
توطئة ٦٩
الكتاب ٧٠
أنواع الكتب المقروءة ٧١
المصادر و المراجع الحقيقة و الفارق ٧٣
أسس التعامل مع المصادر والمراجع ٧٦
المعاجم والقواميس ٧٩
ما هو المعجم؟ ٧٩
١- المعاجم اللغوية: ٧٩
٢- المعاجم الفلسفية: ٨٠
نماذج من المراجع ٨٠
الفهرس ٨١

ثلاثية المعرفة

القراءة - الكتابة - الكتاب

النجف الأشرف، حي السعد، شارع ٦
ihd_ord@yahoo.com ■ ihdord@gmail.com